إدوارد سنودن سقراط زمانه؟

كتبه: روث ستاركمان

وُصف إدوارد سنودن "بمثيرالمشاكل" و "الخائن لوطنه". من ناحية أخرى إتخذ سنودن المتعاقد السابق لوكالة الأمن القومي الذي سرب وثائق سرية في يونيو ٢٠١٣ وضعية سقراط الوحيد الشجاع والأمل أن لا يكون مصيره كمصير الفيلسوف "مفسد الشباب." فالتغيير -حتى لو كان بطيئاً- قادمٌ على قدم وساق.

في التاسع و العشرين من أكتوبر رحب سنودن بتصويت رقم ٢٨٥-٢٨١ في البرلمان الأوروبي الذي ينص على منحه حق اللجوء السياسي بوصفه "مغيراً لقواعد اللعبة"، مع ذلك فإن القرار الهزيل والرمزي الذي يقتضي بإسقاط التهم الجنائية ضد سنودن و اعتباره مبلغاً عن أعمال غير قانونية و مدافعاً عن حقوق الإنسان سيصبح فاعلاً إذا رحبت أي حكومة وطنية به. هناك شائعات بأن دول كالمملكة المتحدة و الدنمارك و ألمانيا سترحب بسنودن لكن في الوقت ذاته لايزال سنودن شخصية مثيرة للجدل. فقط أولئك المقتنعون بذنبه أو ببرائته مستعدون لإبداء رأيهم حوله و يشعر الخبراء والمبتدئين و خبراء السياسية و الأكاديميون و الطلاب على حد سواء بالقلق حيال وجود أسمائهم إلى جانب اسمه.

وكان رد المتحدثين بإسم وكالة الأمن القومي ووزارة الدفاع على قرار البرلمان الأوروبي بالتأكيد على موقفهم من إجراميته. أكد ديفد شيد المدير السابق لوكالة الإستخبارات الدفاعية الأمريكية بأن سنودن أكبر وأهم خائن في تاريخ الولايات المتحدة و يستحق أن يحاكم بتهمة التجسس بوجب قانون الولايات المتحدة.

كانت الردود الأخرى أقل وقعاً فأولائك الذين دافعوا عنه مثل السياسي مالتي سبيتز عضو الحزب الأخضر الألماني الذي أعلن في افتتاحية صحيفة نيويورك تايمز في عام ٢٠١٣ التي كان عنوانها: "امنحوا سنودن حق اللجوء في ألمانيا" رداً على التصويت بحذر و غير متأكد من أن قرار البرلمان الأوروبي قد يؤدي إلى عواقب وخيمة. وقال فيها:

> بالنظر إلى أنظمة البرلمان الأوروبي، هذه مجرد دعوة إلى الدول الأعضاء حتى وإن كانت دعوة مهمة وواضحة. في هذه اللحظة لا أرى تغيراً حيال منح إدوارد سنودن حق اللجوء في

أي دولة من دول البرلمان الأوروبي وهذا الوضع قد يتغير نظراً إلى المحادثات الجارية بين محامي سنودن و الحكومة الأمريكية ولكن حسبما أعلمه قد تستغرق هذه المحادثات وقتاً.

مازالت الجامعات منقسمة بشكل ملحوظ حيال سنودن ويظهر ذلك في مناظرات الطلاب داخل الفصول و البحوث الجامعية. وفي جامعة ستانفورد امتنع مختصون بارزون في الأمن إضافة إلى محامو الحقوق المدنية عن التعليق عليه.

لا توجد مجموعة أكثر إعجاباً بإدواود سنودن من طلاب الجامعات الأمريكيون. فحتى الطلاب المشككون و غير المبالون غيروا آرائهم تجاهه عندما استمعوا إلى حديثه-عبر سكايب- لمدرجات الجامعية المكتضة بالطلاب.

يتناول سنودن مواضيع محببة للطلاب: الديموقراطية و الوصول إلى التقنية و الخصوصية و العدل. تبدو نظريات العدل في الجامعة بعيدة كل البعد عن الواقع. يشترك بعض الطلاب في خدمات التعليم و المظاهرات السياسية ولكن لم يقم أحد منهم بإتخاذ إجراء مثل سنودن. إنه مثال للشجاعة أو الخيانة و لكن الطلاب بعيدون كل البعد عن اتهامه بالأخيرة بعد لقائهم به.

مازال العديد من الطلاب قلقون حيال تسجيل آرائهم سواء في الصحف أو عبر الأنترنت. لايعتبر ذلك مفاجئاً حيث أن العديد من طلاب الجامعات لديهم الكثير ليخسروا أكثر مما خسره سنودن في عمر التاسعة والعشرين عندما اختار نشر تلك المستندات. وبعكس سنودن الذي لم يلتحق بالجامعة، يتحمّل الطلاب الأمريكيون في جميع مؤسسات التعليم العالي ديوناً مرتفعة و يتطلعون لتسديدها بأسرع وقت ممكن ويُتفهم حرصهم على رغبتهم في زيادة فرص حصولهم على الوظائف و تجنب مافي شأنه تهديد هذه الفرص عند الاشادة به فهم يخشون أن تعليقاً منهم حيال سنودن قد ينعكس ضدهم في مقابلات العمل ولكن عندما ظهر سنودن عبر الأقمار الصناعية في العديد من الأحرم الجامعية كان من الواضح أن الكثير أعجبوا به، فهو الشاب المخترق الوحيد -كما ذكرّ الطلاب- الذي تصرف لتحقيق الصالح العام للناس.

وحتى الآن تحدث سنودن الذي يقيم مؤقتاً كلاجئ في موقع لم يعلن عنه في روسيا عبر الأقمار الصناعية إلى طلاب جامعة هارفارد و ستانفورد و برينستون و أيوا و كلية براد و جامعات في الخارج مثل سيمون فراستر و جلاسكو. وسوف تكون لقاءاته القادمة في جامعة جونز هوبكنس و جامعة كاليفونيا و ارفين.

في مؤتمر كلية براد "لماذا تهم الخصوصية" الذي استضافه مركز هانه أريندت في السادس عشر من أكتوبر، هتف الطلاب عندما ظهرت صورة سنودن على الشاشة، اعترض سنودن بقوله "لم أكن أتوقع ذلك".

أو هل كان يتوقع ذلك؟

سنودن الذي يتجنب تسميته "بالبطل" و "المشهور" قوبل بالترحيب في هارفارد و برنستون و باحتفاء كبير في جامعة ستانفورد الربيع الماضي. كما رحب طلاب جامعة أيوا به في سبتمبر تلك السنة. بشكل عام، أولائك الذين حضروا لقاءات سنودن كانوا مؤيدين له ولكن الطلاب الذين حضروا بدافع الفضول هتفوا له أيضاً.

سنودن في نفس الوقت تحدث بتواضع و يبدو أنه فهم قدرته في التأثير على شباب الجامعات. عندما سُؤل عن تعليق وزيرة الخارجية السابقة هيلاري كلينتون الذي تقول فيه "قد يكون مبلغاً عن أعمال غير قانونية" لم يوضح سنودن افتقارها إلى فهم غياب حماية المبلغين عن أعمال غير قانونية لموظفي وكالة الأمن القومي فحسب لكنه أيضاً قدم وجهة نظره تجاه النخبة الأمريكيون: "هناك قصور في الشجاعة السياسية لدى تلك الطبقة".

صفق الحضور بحرارة.

وعند سؤاله حول استعداده للمحاكمة، أكد سنودن على موقفه: "أريد محاكمة عادلة و أريد التحدث مع هيئة المحلفين لكن لم يُسمح لي بذلك، قالوا بأنهم لن يعذبوني".

ضجّ المدرج بالضحك.

لم يعتقد أحد بأن التعذيب أمر يبعث على الضحك لكن الحضور يفهمون جيداً العواقب التي يواجهها فالإفتراض السائد بعد حادثة أبو غريب لدى طلاب الجامعة أن الولايات المتحدة لن تخضع سنودن للتعذيب إذا سنحت لها الفرصة.

بعد لقاء سنودن في براد، خلى المدرج من الناس على الرغم من أن المتحدث التالي شخص رفيع المستوى: مدير مكتب مستشار المخابرات الوطنية روبرت ليت الذي جاء ليمثل وجهة نظر وكالة الأمن القومي. عندما لاحظ ليت عدد الطلاب القليل المتبقين في المدرج، حاول استخدام أسلوب السخرية وقال: "إنني الآن أحمل مزيداً من التقدير لقصة دانيال المذكورة في الإنجيل..." لكنه فشل في اثارة الإستجابة لتوهمه بالدخول إلى عرين الأسد، قارن ليت فرصته بدخول عالم الشهرة بظهور فرقة البيتلز في برنامج إد سولفيان التي إختفت بعد ذلك في طي النسيان في عالم البوب.

لم يتفاعل الجمهور.

وعلى عكس سنودن، يتحدث ليت بسرعة و آداء غير مُحضّر له و تشبيه الطلاب بالوحوش المفترسة و نفسه بالبطل دانيال لا يخدم محامو وكالة الأمن القومي لكنه كان على الأقل محقاً في تشبيه نفسه بالبيتلز: يصعب تقليد سنودن خاصة إذا كان هذا التقليد من وكالة الأمن القومي.

وعلى العكس من معظم المشاهير، يتحدث نسودن في مؤسسات التعليم العالي بلا مقابل فلم تدفع له ستافورد و لا هارفارد بينما يُشاع أن جامعة واحدة عرضت عليه مكافأة تبلغ ٢٠٠٠٠ دولار أمريكي. أكد محامي سنودن و ناشط إتحاد الحريات المدنية الأمريكية بين ويزنير صحة هذه الأرقام و أشار أن عميله يعتمد في معيشته على محاضراته التي لا تقام في الجامعات والشركات التجارية في الخارج و يمثله مكتب البرنامج الأمريكي وهي نفس المؤسسة التي تمثل معظم المشاهير الأمريكيين.

ليس كل طلاب الجامعات معجبون بسنودن لكن من النادر أن يخرج منتقدوه لمقابلته فلم يحضر الطالب جميس ستيفنز -الوحيد الذي وافق على نشر اسمه- الذي نشر مقالة عنوانها "إدوارد سنودن ليس بطلاً" في صحيفة جامعة ستانفورد لقاء سنودن في جامعة ستنافورد.

لايخشى ستيفنز أية تداعيات حيال وجود اسمه بجانب سنودن:

> إنني واثق في إنتقاد الطريقة التي أفشى فيها سنودن المعلومات ومن الضرر التشغيلي الذي سببه و قراره غير الديموقراطي و لا نستطيع أن نستشف مدى عمق تفكيره عندما أفصح بكل هذه المعلومات.

تتخذ معظم آراء الطلاب في مقابلاتهم في جامعات كاليفورنيا و أريزونا و فرجينيا و تكساس و كليات المجتمع عن موقف مشابه لستيفنز و لكنهم لا يرغبون بنشر أرائهم حوله و يحصل العديد من هؤلاء الطلاب على معلوماتهم من المقابلات المسجلة في الإنترنت أو القليل منهم من فيلم الوطن الرابع الحائز على الأوسكار وهو عبارة عن مقابلات سنودن مع الصحفي المحقق جيلن جرينوالد و مراسل صحيفة الجارديان إيون ماكأسكيل. يعلم العديد من الطلاب بتوفر الفيلم لكنهم لايرغبون بدفع ١٤,٩٩ دولاراً أمريكياً مقابل تنزيله من أمازون.

يؤيد الكثير من المراقبين الذين يخشون الحديث عن سنودن رسالته و رداً على سؤال الطلاب عن الأمور التي يجب أن يقوموا بها للحفاظ على خصوصيتهم أجاب سنودن:

كان الإنترنت مكاناً يقول فيه الناس مايريدونه دون الخوف من العواقب و يستطيع الطلاب إعادة ذلك بإنشاء منصات جديدة بتشفير أفضل.

يريد سنودن أن يُعرف بالشخص الذي وقف بوجه ممارسات الولايات المتحدة الرقابية بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر و كقدوة لمبلغي الفساد المستقبليين و ليس مجرد شخص محب لبدايات الإنترنت.

ومما لا شك فيه فتح سنودن الباب بمصراعيه للنقاشات حول الخصوصية و الإنترنت. كان تأثيره واضحاً في مؤتمر "لماذا تهم الخصوصية" في كلية براد التي ضمت متحدثين بارزين رسمت قضية سنودن ملامح مهنتهم بطريقة أو بأخرى مثل بين ويزنير. قابل المحرر الكبير في صحيفة الانترسبت بيتر ماس سنودن، بينما دوّن فريتز شوارز من مفوضية الكنيسة التاريخية أسئلة الطلاب التي تتعلق بالمعلومات قبل و بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر. بينما سألت كيت كراوفورد أسئلة تتعلق حول حاجة طلاب علوم الحاسب إلى دراسة مواد تتعلق بأخلاقيات المهنة. جادل جيريمي والدرون مسألة المراقبة "المسؤولة والمفتوحة" التي تتيح للناس الرجوع إلى الوكالات الحكومية و التعاون معها بينما أتخذ عالم الفيزياء الفلكي وكاتب قصص الخيال العلمي ديفيد برين موقفاً رديكالياً و رأى بأنه يجب على الطلاب و عامة الجمهور محاربة المراقبة بكاميراتهم الخاصة كما فعلت حركة "حياة السود مهمة" ووصف برين هذا النوع من القواعد الشعبية والمراقبة الدفاعية "بالمراقبة الشخصية".

تجذب المراقبة الشخصية الطلاب بكل تفاصيلها وفي الواقع عندما دعا اتحاد كلية براد للمناظرة جمعية ويست بوينت للمناظرة لمناقشة مسألة المراقبة، جادل الجانبان أن المراقبة قد تصبح آداه للجمهور بالإضافة للحكومة و قد تحمي "السود و السمر ومجتمع المثليين و غيرهم من السكان المعرضون للخطر."

ذكّر مناظروا ويست بوينت الحضور بأن هذه المحاضرة تعليمية بحتة و لا تعكس آراء الولايات المتحدة أو قواتها المسلحة.

لايتفق سنودن مع المراقبة الشخصية حيث يقول: "لسنا بحاجة إلى سباق تسلح رقابي، نحتاج أن نحمي الخصوصية الفردية."

دافع طلاب براد عن المراقبة القائمة على القاعدة الشعبية كأسلوب معارض للنخبة (هذه النخبة تنتمي إليها أيضاً مؤسسات مثل براد و ستانفورد و هارفارد و برنسيتون) لكن سنودن لم يغير رأيه تجاه ذلك.

إذن عندما يسأل الطلاب سنودن عن إقتراحات لحماية خصوصية الجمهور فجوابه مُعد جيداً لجمهوره من المعجبين الشباب الذين لا يرغبون بالهرب إلى روسيا:

هناك طرق عدة التي تحول دون التعاون عندما ترى أمراً خاطئاً منها استخدام تور وتطبيق سيقنال فعندما يقاوم عديد من الناس و يشاركون أفكارهم البنائة، تتراجع قيمة المراقبة.

هي مجرد كلمات جوفاء ولكنها تهدف إلى أكثر من دعوة مبهمة للعمل فعلى نحو مماثل كان إعلان سنودن: "حان الوقت لإضفاء طابع ديموقراطي للخصوصية فهي ليست أمر يتمتع به النخبة وحدهم." كيف يمكن إضفاء طابع ديموقراطي للخصوصية؟

يتفق العديد بتبليغ سنودن عن الأعمال غير القانونية لكنهم لا يأيدون كشفه الشامل و يعارض الطلاب أيضاً موقفه القائل بأنه طالما لن تغير وكالة الأمن القومي سياستها فالحل الوحيد هو بناء تقنيات أفضل. لا يرى الكثيرون أن التقنية وحدها ستحفظ خصوصية الأفراد ولكن إذا رسم سنودن الطريق لعمل تعاوني فهم على إستعداد بالإستماع.

"لست سنودن" أكدت ذلك طالبة في السنة الثانية في قسم علوم الحاسب و أضافت "ولا أريد أن أعاني مثل تشيليي ماننج و كإمرأة لا تنتمي إلى العرق الأبيض في مجال التقنية المتقدمة، أعلم أنني معرضة للخطر لكن على الأقل هناك جدل وطني عن الخصوصية و حقوق مبلغي الفساد، لا أستطيع التقدم إلى النور في هذه المسألة."

وقال خريج كلية براد تيكيندرا بالمر "لا أتعاطف مع سنودن، إنه مجرد عسكري مزعج مُقدّسٌ لتعاليم الدستور الدينية، لست أمريكياً ولا أشاركه هذا التقديس لكني أؤمن بنقاء قيمه و أعتقد أنه واحد من أكثر المتحدثين في حقوق الخصوصية بلاغة اليوم. أعتقد أن قرار الإتحاد الأوروبي الأخير يسلط الضوء على الأختلاف بين نظرة الأوروبيين و الأمريكيين للخصوصية لذا ليس لدى الأوروبيين مشكلة بتسمية سنودن "المدافع العالمي عن حقوق الإنسان" و أعتقد أن ذلك رائعاً."

يشير بالمر هنا إلى المادة الثامنة من الميثاق الأوروبي لحقوق الإنسان التي تحمي خصوصية الفرد و أسرته و منزله و مراسلاته وبذلك تُقر بقضايا الخصوصية في أوروبا في الحقوق المدنية و الجنس و قضايا المراقبة. يتضح أن أوروبا و -بالأخص ألمانيا التي مازالت شرطة ألمانيا الشرقية المرعبة وجهاز أمن الدولة شتازي و كل مخبريه في ذكراها -قلقة من المراقبة التي قد تسسم كلا القطاعين العام والخاص.

قد يكون سنودن بالنسبة للأوروبيين سقراطاً مستعدٌ لتحدي أثينا العظيمة بجميع تناقضاتها. قد يعود سنودن للولايات المتحدة لكن ذلك لن يكون طريقاً آمناً له وقد لا تكون أوروبا كذلك أيضاً.

يقول طالب في سنته الأخيرة في جامعة ولاية أريزونا "عندما نتحدث بمثالية، أريد أن يعفو أوباما عن سنودن حتى يتمكن من العودة و التدريس فس جامعة، صدقوني سيملأ ملعباً."